



اختصار درس «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية» (٩-١٢)

للشيخة أم عبد الله حفظها الله
بنت الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله

<https://omabdullahalwadeai.com>

(٩) اختصار درس «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية»



عِنَايَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِفْظُهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَمِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ:
روى أحمد رحمه الله (٤٦٧/٢٩) من طريق هشام-يعني: ابن عروة-عن أبيه، قال: حَدَّثَنِي
جَارٌ لِحَدِيحَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ لِحَدِيحَةَ: «أَيُّ
خَدِيحَةٍ، وَاللهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَاللهِ لَا أَعْبُدُ أَبَدًا».

قَالَ: فَتَقُولُ خَدِيحَةُ: خَلَّ اللَّاتَ، خَلَّ الْعُزَّى.

قَالَ: كَانَتْ صَنَمَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ، ثُمَّ يَضْطَجِعُونَ.

واللات والعزى صنمان كان يعبدهما أهل الجاهلية.

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحديجة بهذا، هل كان قبل البعثة أو بعدها؟ الأقرب أنه
قبل النبوة.

(فَتَقُولُ خَدِيحَةُ: خَلَّ اللَّاتَ، خَلَّ الْعُزَّى) أي: اتركها، واثبت على التوحيد.

(ثُمَّ يَضْطَجِعُونَ) معناه: أنهم كانوا يعبدونها قبل أن يناموا.

وفي هذا الحديث:

- سلامة عقيدة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة، وبغضه للأصنام، وقد تولاه الله بحفظه وعصمه مما كان عليه أهل الجاهلية، فكان معصومًا من الشرك، ومنزهاً عن ارتكاب القبائح والردائل كلها.

فكانت فطرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجبولة على كل خير، وكانت صفاته كلها جميلة؛ ولهذا كانت قريش تلقبه بالصادق الأمين، وكان يعجبه أن يتعبد لله في غار حراء قبل نزول الوحي.

- وفيه: أن الرجل يخبر أهله الرزينة العاقلة بغمومه وكربه.
- وأن المرأة الصالحة تقوم بالمؤانسة والتسلية والتثيت.
- فيه تكرير القسم والكلام؛ للتأكيد.



عن **جابر رضي الله عنهما**، قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنَ الْحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «إِزَارِي، إِزَارِي». فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ. رواه البخاري (٣٨٢٩)، ومُسْلِمٌ (٣٤٠).

(الْكَعْبَةُ) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح صحيح مسلم» (٣٤٠): وَسُمِّيَتِ الْكَعْبَةُ كَعْبَةً؛ لِعُلُوِّهَا وَارْتِفَاعِهَا، وَقِيلَ: لِاسْتِدَارَتِهَا وَعُلُوِّهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ) معناه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَارَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْلَى لَمَّا خَلَعَ إِزَارَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ؛ لِيَقِيَهُ مِنَ الْحِجَارَةِ.

هذا الحديث فيه من الفوائد:

- أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَكُونُوا يَتَحَفَظُونَ مِنْ كَشْفِ عَوْرَاتِهِمْ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَهَدَمَ ذَلِكَ وَأَوْجَبَ السَّتْرَ.

وفيه كما قال الشيخ ابن آدم رَحِمَهُ اللهُ: بيان أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان جبلة الله تعالى على أحسن الأخلاق، والحياء الكامل، حتى كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها؛ فلذلك غُشي عليه لما تعرَّى من إزاره، وانكشفت عورته، فلم يُرَ بعد ذلك عرياناً. «البحر المحيط الشجاع» (٢٣٢/٨).

وفيه: المشاركة في فعل الخير.



عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: لَمَّا بُنِيَ الْبَيْتُ كَانَ النَّاسُ يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ، فَأَخَذَ الثُّوبَ فَوَضَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، فَتَوَدَّى: لَا تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ. فَأَلْقَى الْحَجَرَ، وَلَيْسَ ثَوْبُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه أحمد (٢١٣/٣٩).

هذا الحديث من مراسيل الصحابة ولا يضر؛ لأن الصحابة كلهم عدول.

ونستفيد من هذه الأدلة:

- حفظ الله لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أدناس الجاهلية. واستنبط الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في «دفع إيهام الاضطراب» (٣٦٨) من قوله تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان على الفطرة.

ويدل على حماية الله لنبيه وحفظه له من أخلاق الجاهلية.



(١٠) اختصار درس «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية»



شَقَّ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَدْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَبَاةٍ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جَبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغُلَامُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ، -يَعْنِي: ظِئْرُهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُتَتَعِّعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ. رواه مسلم (١٦٢).

الظِّئْرُ بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ وَيَجُوزُ تَخْفِيفُهَا: النَّاقَةُ تَعْطِفُ عَلَى وَلَدٍ غَيْرِهَا، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ: تَحْضُنُ وَلَدَ غَيْرِهَا ظِئْرًا. «المصباح المنير» (٣٨٨/٢).

من أمهات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة:

حليمة وهي أشهرهن، وثوية.

وهل حليمة السعدية وزوجها مسلمان؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «زاد المعاد» (٨١ / ١): وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِ أَبِيهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ثَوْبِيَّةِ فِي «زاد المعاد» (٨١ / ١): وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهَا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

المَخِيطُ: الْإِبْرَةُ.

والله قادر أن يطهر قلب نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير شقّه، ولكن هذا لإظهار كرامة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وخارق للعادة.

من فوائد هذا الحديث:

- إباحة لعب الصغار، ولكن من غير الإكثار والإسهاب فيه.
- شق صدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صباه وهو عند مرضعته حليلة السعدية، وهذا من الإرهاصات التي وقعت له، وهو خارق للعادة، وهذا أحد المواضع التي شُق فيها صدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.
- والموضع الثاني عند الإسراء، فقبل أن يُسرى بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُق صدره مرة أخرى.

وجاء أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُق صدره وهو ابن عشر سنين، وهذا رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١٨١/٣٥) عن أبي بن كعب، وفيه مجاهيل.

وجاء أنه شُق صدره عند المبعث وهذا الحديث رواه إسحاق بن راهويه في «المسند» (١٦٨٩) وفي إسناده مبهم كما ترى.

- وفيه: عناية الله بنبيه من صغره؛ إذ أخرج منه حظ الشيطان؛ حتى يكون مطهرًا من الأخلاق الرذيلة، معصومًا منه ويسلم من شره وتسلطه.

- استنبط بعضهم من هذا الحديث: أن ماء زمزم أفضل المياه؛ لقوله: «غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، بِمَاءِ زَمْزَمٍ».

- وفيه كما قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في شرح هذا الحديث: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَى صَدْرِ الرَّجُلِ، وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ، وَكَذَا يَجُوزُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا فَوْقَ سُرَّتِهِ وَتَحْتَ رُكْبَتِهِ،

إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ بِشَهْوَةٍ فَإِنَّهُ يَحْرُمُ النَّظْرُ بِشَهْوَةٍ إِلَى كُلِّ آدَمِيٍّ إِلَّا الزَّوْجَ لِزَوْجَتِهِ وَمَمْلُوكَتِهِ، وَكَذَا هُمَا إِلَيْهِ.

مسألة: هل حادثة شق الصدر وغسل القلب بهاء من خصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

قال السهيلي رَحِمَهُ اللهُ فِي «الروض الأنف» (١٧٧/٢): هَلْ خُصَّ هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَسْلِ قَلْبِهِ فِي الطُّسْتِ، أَمْ فُعِلَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ؟ فَفِي خَيْرِ التَّابُوتِ وَالسَّكِينَةِ، أَنَّهُ كَانَ فِيهِ الطُّسْتُ الَّتِي غُسِلَتْ فِيهَا قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ. اهـ.

وهذا من الأحاديث الإسرائيلية التي لا بد فيه من دليل صحيح.



١- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ كَمَا فِي «الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٢٧٥/٢): عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَتْهُمْ قَالُوا لَهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ. قَالَ: «نَعَمْ أَنَا دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشِّرِي عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَاسْتَرْضَعْتُ فِي بَيْتِي سَعْدَ بْنَ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا فِي بَيْتِهِمْ لَنَا أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ مَعَهُمَا طُسْتُ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٌ ثَلْجًا، فَأَضْجَعَانِي فَشَقَّ بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَةً سَوْدَاءَ فَأَلْقِيَاهَا. ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ، حَتَّى إِذَا أَلْقِيَاهُ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنَهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِعَشْرَةٍ فَوَزَنَتْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنَهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِمِائَةٍ فَوَزَنَتْهُمْ. ثُمَّ قَالَ زِنَهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِأَلْفٍ فَوَزَنَتْهُمْ، فَقَالَ: دَعُهُ عَنْكَ فَلَوْ وَزَنْتُهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَتْهُمْ».

قال الحافظ ابن كثير عقبه: هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ.

ورواه الحاكم في «المستدرک» (٤١٧٤) وذكر الحديث الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٥٤٥).

(أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ) يعني: قوله تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة: ١٢٩].
(وَبُشِّرَى عِيسَى) يشير إلى قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)﴾ [الصف].

وليس معنى هذا أن الأنبياء الآخرين لم يُبشروا به، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِضْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾ [آل عمران: ٨١-٨٢].

(وَرَأَتْ أُمِّي) قد جاء ما يوضح أن هذه الرؤيا منامية.

- هذا الحديث فيه: حرص الصحابة على معرفة أحوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته.
- وفيه بعض الإرهاصات، وبيان بعض أحواله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صباه وقبل النبوة، وقد اشتمل على:

أن أمه -وهي آمنة- رأت حين حملت به أنه خرج منها نور أضاءت له قُصُورُ الشَّامِ، وهذا من المبشرات بنبوته.

رضاع بني سعد بن بكر له.

- شق صدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صغير، أيام كان في بني سَعْدِ بْنِ بَكْرِ.
- وفيه الإيمان برسالة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 - البشارات ببعثة هذا النبي الكريم.



(١١) اختصار درس «الصحيح المسند من الشرائع المحدث»



سَفَرُهُ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَقِصَّتُهُ مَعَ الرَّاهِبِ:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ، وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ... إِلَى قَوْلِهِ: قَالَ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ. فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ. **رواه الترمذي (٣٦٢٠).**

هذا حديث حسنٌ دون آخره. أي: دون هذه الجملة: «وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا». وجه استنكار هذه الجملة أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ صَغِيرًا صَبِيًّا، أَيْضًا بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقَ اشْتَرَاهُ، وَتِلْكَ اللَّفْظَةُ أَنْكَرْتُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَزْوَانَ الْمَلْقَبِ بِقُرَادٍ.

وقد كانت هذه الرحلة وكان عمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثني عشر عامًا. **(أشياخ)** قال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٣٨١٧/٩): **وَالْمُرَادُ مِنْهُمْ أَكَابِرُهُمْ أَوْ لِسْنُهُمْ. اهـ.** **(الرَّاهِبُ)** العابد، واشتهر في كتب السيرة أن اسم الراهب بحيرا. وقد ذكر الشيخ الألباني أن هذا جاء في بعض الروايات الواهية، في إحداها الواقدي وهو كذاب، وفي الأخرى محمد بن إسحاق صاحب «السيرة» رواها بدون إسناد.

وهل هذا الراهب صحابي؟

هذا الراهب رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان مؤمناً به قبل بَعْثِهِ. فهو لم يدرك المبعث،
ومن لم يدرك المبعث كيف يكون صحابياً؟!

هذا الحديث من فوائده:

رحلة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الشام مع عمه أبي طالب.

- وفيه ما حصل له من الآيات والخوارق التي استدل بها الراهب على أنه الموعود بخروجه
في الكتب المتقدمة، وهذا من الإرهاصات التي تسبق النبوة وتدل على صدق صاحبها.

وقد ذكر هنا في الحديث من الدلائل:

- قوله: «إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يُنْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِداً، وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيِّ».

- وذكر خاتم النبوة الذي في طرف كتفه.

- وذكر الغمامة وهي السحابة التي كانت تظل النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- ميل فيء الشجرة عليه.

وفيه أيضاً من الفوائد:

- وصف النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسيادة، وأنه سيد العالمين الأولين والآخرين.

- أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للعالمين، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

- فضيلة الراهب وخوفه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتله الروم.





(١٢) اختصار درس «الصحيح المسند من الشرائع المحدث»



اشتهاره صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بلقب الأمين:

عن مجاهد، عن مولاة أنه حدثه، أنه كان فيمن بيني الكعبة في الجاهلية؟ الحديث وفيه: فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه هو صلى الله عليه وسلم. رواه الإمام أحمد (٢٤/٢٦١).

في هذا الحديث:

ما كانوا عليه في الجاهلية من الحماقات والشركيات.

وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معروفاً عندهم بخلق الأمانة. روى الإمام البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً».

وفيه: إعادة قريش بنيان الكعبة، والكعبة مرت بمراحل، وقد كانت موجودة قبل أبينا إبراهيم،

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» (٢٩٦/٤) في التعليق على هذه الآية التي في سورة إبراهيم: يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَبْنِيًّا وَانْدَرَسَ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ هُنَا: ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ مَكَانًا سَابِقًا، كَانَ مَعْرُوفًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

وذهب كثير من أهل العلم أن أول من بناها إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) {البقرة:

١٢٧]، واستدلوا أيضًا بالآية: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)} [الحج: ٢٦].
وفيه: أن قريشًا كانت تعظم الكعبة، ومن تعظيمهم لها: أنهم كانوا يخافون من الدعاء عليهم عندها؛ ولهذا هنا اختلفوا من الذي ينال شرف إعادة الحجر الأسود مكانه.
وفيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مصونًا قبل البعثة عن خصال الجاهلية وأخلاقهم السيئة.



رَعِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَنَمَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»
رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٢٦٢).

في معنى: «قَرَارِيط» في هذا الموضع قولان لأهل العلم:
١- أنه يرعى بأجرة قَرَارِيط، يعني: القيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم.
٢- أنه اسم موضع بمكة. ينظر «الفتح».

وفي الحديث: رعى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الغنم قبل البعثة.



عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجْنِي

الْكِبَاثَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ أَطْيَبُ». قَالُوا: أَكُنْتَ تَرَعَى الْغَنَمَ؟! قَالَ: «وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا» رواه البخاري (٣٤٠٦). وَأَعَادَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٤٥٣)، بِزِيَادَةٍ: «بِمَرِّ الظُّهْرَانِ» قَبْلَ: «نَجْنِي الْكِبَاثَ». وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٠٥٠).

فيه: فضيلة رعي الغنم.

وفيه رعي الأنبياء عليه الصلاة والسلام الغنم قبل البعثة.

حَكَمُ رَعِي الْأَنْبِيَاءِ الْغَنَمَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ:

تربية النفس على التواضع.

تصفية قلوبهم بالخلوة.

ولأن الغنم تحتاج إلى سياسة، فيترقوا من سياستها إلى سياسة أممهم بالرفق والصبر والعطف والشفقة.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٣٤٤ / ٢٤): «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ التَّحَدُّثِ عَنِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ لِسِيرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ.

وَفِيهِ: أَنَّ التَّحَرُّفَ فِي الْمَعِيشَةِ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا - إِذَا لَمْ تَنْهَ عَنْهُ الشَّرِيعَةُ - نَقِصَةً.

وَفِيهِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ أَحْوَاهُمْ فِي تَوَاضُعِهِمْ غَيْرُ أَحْوَالِ الْمُلُوكِ وَالْجُبَّارِينَ، وَكَذَلِكَ أَحْوَالُ الصَّالِحِينَ.

